أهلا بالموت عندما يكون في سبيل شعب مظلوم

أرادت أن تكون عروساً يُحتفل بميلاد عرسها في كل عام. أرادت أن تتزوج مع من لا يموت، لكي يروي قصة ذكرياتها في الربيع مخملة بجمال الطبيعة التي تتزين بها جبال جودي الشماء. أرادت أن تكون قنديلاً مضيئاً في ممرات جبال قنديل لكل عابر سبيل يبحث عن الحرية، في زمان باتت فيه الروح ثمناً باهظاً لنيل الحرية. أرادت كل ذلك، ونالت مرادها... كل ماضيها كان ينبئ بعظمتها هذه منذ البداية.

ولدت في ربيع عام 1973 مع ولادة الأزهار والفراشات وحرية الشمس. ولدت لترى كل شيء جميل، فتعشق الجمال. هي الابنة البكر لوالديها. ولدت في ظروف صعبة بالنسبة لأسرتها، التي بدأت بها التكوين العائلي. نمت طفلة محبوبة، ذكية، متميزة بالإحساس المرهف، مفعمة بروح المسؤولية، تفكر بما هو أكبر من عمرها من مسؤوليات وأعباء. ترعرعت في أحضان عائلة فقيرة مادياً، غنية إنسانياً.. مرتبطة بالقيم والمبادئ الإسلامية النبيلة، متمسكة بروح القومية الكردية والعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمعات الإسلامية الشرقية.

تلقت تربيتها في مدرسة هذه الأسرة، لذلك نمت طفلة لها فضول في معرفة كل ما تحس به. عاشت طفولة مأساوية بسبب ظروف العائلة، لذلك كانت منعزلة عن الأطفال. وبما أنها كانت الطفل البكر لعائلتها، كان طبيعياً أمر اختلاطها بالكبار أكثر من أبناء عمرها.

نشأت منطوية على ذاتها، هادئة، غير مشاكسة أو مؤذية لأحد. وهكذا إلى دخلت المدرسة، فكانت المدرسة المؤسسة الاجتماعية الثانية بعد مؤسسة الأسرة. وهي التي ساعدتها كثيراً في الخروج من عزلتها إلى مصادقة زميلاتها في الصف، ولو بشكل قليل.

تعودت من المدرسة أن تعطي لغيرها بلا حدود كل ما عندها. وكانت متفوقة في دراستها. تقبلت مسألة الاختلاط بالمجتمع فيها، مع أنها عاشت طفولة منعزلة في مرحلة الرعاية.

لم تتابع دراستها الإعدادية بعد الحصول على الشهادة الابتدائية لظروف صعبة طارئة صادفتها، وهي وفاة أخيها الذي كان زميلها في الدراسة أولاً، ولبُعد المدرسة عن بيتهم ثانياً، ولأنها فتاة برأي المجتمع آنذاك ثالثاً.

أثناءها، وبمنعها من متابعة الدراسة التي كانت خسارة لا تعوض بالنسبة لها، تحركت فيها روح المقاومة ضد العادات الاجتماعية الفاسدة التي لا ترحم، وبالأخص ما يطبق على المرأة دون الرجل.

كانت هذه الأحداث أول بوادر النهضة والتمرد على الواقع المرير الذي كانت تعاني منه المرأة، وبالأخص لعدم عثور هذه الفتاة الشابة على ملجأ يأويها ويحتضن آمالها وأحلامها، أو أي إرشاد يدلها على الطريق السوي في بداية حياتها. فقط كانت تتلقى نصائح تقدمها لها أمها بصيغة أمر مفروض قد لا تكون راغبة به، وهي نصائح تعيب كل شيء على الفتاة، وتمنعها من كل حقوقها. لم يكن هذا الأمر مطبقاً عليها وحدها، بل على كل الفتيات من حولها. ولكنها هي ليست مثل كل الفتيات الأخريات من بنات سنها لترضى بأي شيء. فهي تقبل ما تراه صحيحاً، وترفض ما تعتقد أنه خطأ.

من هنا جاء مسار تفكيرها مغايراً لمسار تفكير أي فتاة بعمرها. فكانت تحب الدراسة كثيراً، ولكنها خسرتها. رغم ذلك فهي لم تنقطع عن المطالعة وتثقيف الذات، رغم صغر عمرها، ورغم عدم توفر الكتب المناسبة لعمرها والمتوائمة مع مستوى استيعابها. كانت القصص والمجلات والجرائد هي الوسائل التي تشبع روحها العطشى لتلقي المزيد حتى عام 1988.

لم تبلغ الخامسة عشر من العمر في ذاك العام حين تعرفت عن طريق العائلة على الرفاق الذين كانوا يدخلون كل بيت كردي للتعرف عليهم. كان مطلبها الوحيد منهم هو جلب الكتب لها. أكثر كتاب تأثرت به هو كتاب "المقاومة حياة" ومجلة "صوت كردستان" و"ملف الشهداء".

كل ذلك كان دافعا لتعزيز الإصرار لديها على اتخاذ قرارها بالانضمام إلى النضال السياسي بين الشعب، إلى أن تمت الموافقة على قرارها في 5 تموز عام 1991. كان خروجها من البيت بقناعة والديها اللذين لم يقفا بوجه مطامحها النبيلة، رغم صعوبة الوضع.

بدأت بالنضال في منطقتها مدة سنتين، وكانت موضع ثقة لرفاقها ولشعبها، محبوبة من قبل المحيطين بها، مخلصة في نضالها للشعب والقائد والشهداء، جدية في تصرفاتها، تتمتع بروح مرحة، تقترب من كل فئات الشعب دون استثناء.

استطاعت أن تدخل قلوب الكثيرين، وتحظى بحب احترام وتقدير الآخرين لها. أحبت الأطفال كثيرا، حيث كانت تقول دائماً: (الثورة تحيا في مرحلة الطفولة... من أجل أن نحافظ على أفكارنا علينا أن نرشد الأطفال بالسير على النهج الأوجلاني ونعلمهم).

كانت محبوبة من قبل الأطفال كثيراً لقرب روحها منهم. لذلك كانت قد شكلت اثني عشرة مجموعة من الأطفال، كل مجموعة تحتوي عشرين طفلا على الأقل. وكانت تعلمهم اللغة الكردية والتاريخ الكردي والآداب والتربية الكردية.

لم تقبل يوماً السكوت على الخطأ، حتى إن كان في ذاتها. لم تتباطأ يوماً في نشاطها، رغم أنها كانت تعاني من مشاكل صحية عديدة.

بعد سنتين من الفعاليات بين جماهير منطقتها انتقلت الرفيقة إلى النضال في حلب، وناضلت فيها مدة سنة، تلقت خلالها تدريبا سياسيا وعدة تدريبات مغلقة أخرى. وفي نفس العام كانت تطلب في كل تقاريرها المرفوعة للحزب بالالتحاق بصفوف الكريلا.

ذلك كان حلمها الكبير: أن تعانق تراب الوطن، أن ترى جبال كردستان الشامخة للنصر. كانت تردد دائما مقولتها: "متى سيأتي ذلك اليوم الذي أرى فيه وسائل النقل تنتقل في بلادي، وينادي المرافق بأسماء مناطقها: تعالوا، هذه السيارة ذاهبة إلى كوباني... عفرين... دهوك... ماردين... ديار بكر... والكل يبيع ويشتري من موارد بلدي الطازجة، ويتكلم الكردية، والأعلام الكردستانية ترفرف فوق المدارس التي يردد فيها الطلاب الشعار في كل صباح وينشدون النشيد الوطني (أي رقيب)!! لأرَ ذلك اليوم وأموت هناك حينها. لا لي حلم سوى ذلك".

في زيارتها الأخيرة لعائلتها كانت قد سلمت بعض الدفاتر والصور والذكريات المتعلقة بها للعائلة. وفي آب 1993 بدأت تعيش أحلامها بنضوج أكبر، لتحولها إلى حقيقية، فتجهزت العروس، وقامت بتحضير مستلزمات عرسها لأهلها في وطنها.

الزهرة التي نبتت في تربة خصبة لا تزدهر إلا في تربتها.

حلمت أن يكون لها بيت عالٍ على أعلى قمة الجبل، تماما كما أعشاش النسور التي لا تبني أعشاشها إلا فوق القمم العالية. وبقيت مخلصة مع مبادئها وأحلامها هذه.

بعد التحاقها بساحة الوطن بعثت رسالة للعائلة أرسلتها إليها من أعالي قمم جبال جودي في إقليم بوطان. وبعدها ذهبت لتعيش على صدر جبال صاصون العالية الشامخة، والتي تعانق السحاب فتزداد جمالاً.

كان ذلك في بداية عام 1993، حيث بقيت بين أعالي الجبال الشامخة، إلى أن زف نبأ استشهادها في قنديل (كاني جنكي) بتاريخ 2000/12/15، حيث أراقت دمها الطاهر الزكي في اشتباك مع قوات بشمركة الاتحاد الوطني الكردستاني.

بذلك كان آخر حلم لها يتحقق بأن تكون شهيدة في سبيل حرية الشعب والقائد والوطن الذي عانى الظلم والاضطهاد قروناً طويلة.

تحقق حلمها، ولبيت وصيتها بأن تدفن في التربة المقدسة التي دفن فيها أجدادها وأجداد أجدادها. كانت آخر كلمة لها "أهلا بالموت عندما يكون في سبيل شعب مظلوم. في سبيل هدف نبيل، لا غاية شخصية. أهلا بالموت عندما يكون في المكان والزمان المناسبين كما يرغب صاحبه به". هكذا أغمضت عينيها عن نور الحياة الدنيا لتفتحهما على نور حياة أبدية خالدة، حياة الشهادة، حياة الخلود.

مقتطفات من الرسائل الواردة منها إلى العائلة:

أول رسالة لها بتاريخ 1993/12/11 من إقليم بوطان – منطقة جودي – سرية الشهيدة خانم – فصيلة الشهيدة دجلة:

من فوق جبال جودي الشماء... من مركز الآباء والأجداد... من ذوبان ثلوجها في قاعدتها.. تحية ثورية مليئة بالأشواق إلى الشعب الكردي في غرب كردستان... من فوهة البندقية... من بين حفلات الرفاق في العمليات.. تحية متشكلة من أنواع أزاهير مختلفة، بعضها أزاهير الصيف، وبعضها أزاهير الشتاء... من أصوات العصافير والبلابل... ومن كل ينبوع في كل مغارة... من كل وادٍ وكل خطوة تخطوها إلى النصر... نرسل تحياتنا الثورية الحارة.

الرسالة الثانية: على نفس العنوان 1995/11/27 بمناسبة ذكرى ميلاد وتأسيس حزب العمال الكردستاني PKK:

باسم الاستقلال... باسم ثوار وشهداء PKK... باسم المقاومة العظيمة أهديكم تحياتي..

الرسالة الثالثة: وكانت من نفس العنوان:

تحية ثورية باسم السائرين على طريق الخلود، وباسم المنادين بالاستقلال والحرية، والمقاومين من أجل حياة كريمة.
أكتب لكم في رسالتي أن النداء بسيف الإنسانية وتصدي الطاغية والعدوانية ليس بمسألة بسيطة. والنصر للمستقبل القادم... فلا يمكن استرجاع الإنسانية دون التصدي والمقاومة والتضحية بأغلى ما يكون. ولا يملك هذه الصفات إلا من يتسلح بالجسارة والقوة والإيمان والحب الكبير والقناعة التامة. ولا يكون كذلك إلا من يتمسك بالمبادئ الأوجلانية المعاصرة التي تنير درب كردستان.

آخر رسالة لها كانت في بداية عام 2000، أي في ذات العام الذي استشهدت في أواخره. كتبت هذه الرسالة الأخيرة على عجل من العنوان التالي: المدرسة المركزية للتدريب الكادري – المقر الأيديولوجي – القسم الكردي. وهي دورة غنية من كل الجوانب، لها استعدادات

سياسية، إلى جانب تدريب الفدائيين "الوحدات الخاصة". وكان مضمون الرسالة باختصار يتلخص فيما يلي:

"... فكما تعلمون، إن المؤامرة الدولية التي حيكت خيوطها من قبل الإمبريالية بزعامة أمريكا، إسرائيل، وتركيا بحق قائد أمتنا ومفجر ثورتنا المظفرة القائد التاريخي آبو، كانت لنا ضربة مؤلمة وللشعب الكردي بأجمعه. حيث اعتقد العدو أن اعتقال رمز الحرية سوف يقضي على الثورة والشعب، ناسياً أو متناسياً أن فكر القائد أصبح ركيزة أساسية في وجدان وعقل كل ثوري وطني شريف. بهذا خابت آمال العدو منذ الوهلة الأولى. فالقائد بحكمته وشجاعته وأسلوبه المبدع استطاع أن يفشل جميع ألاعيب العدو ومخططاته داخل غياهب السجن. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ثابر الرفاق تحت قيادة المجلس القيادي في مسيرة النضال بدقة متناهية لإفشال آمال الأعداء في تلاشي وانقسام التنظيم الفولاذي الذي وضع قائدنا العصري آبو بذرته الأولى. وهكذا ما تزال المؤامرة مستمرة بحق الإنسانية والوطنية. إن المرحلة الحساسة التي نمر بها وضعت أمامنا مهمات كبيرة لمتابعة المسيرة بقوة أكبر. وإننا هنا نستعد مع كافة رفاقنا المناضلين لتقوية أنفسنا بالفكر والسياسة والفلسفة، مستمدين قوتنا من شعاع النور والفكر الذي يشع من قبلتنا "إمرالي"، وشعارنا: (لا حياة بدون القائد، ولا كردستان بدون سلام).

ومن أهم أقوال الرفيقة الشهيدة بيروز:
"إني رأيت الحرية الحقيقية على قمم جبال كردستان"، و"الإنسان الثوري لا يستغني عن الحياة الثورية الحرة"، و"الحياة الثورية هي أنبل حياة يعيشها الإنسان الذي يكرس حياته للدفاع عن الوطن والنضال من أجله، والذي يدرك معنى الحياة الحرة والكريمة"، و"من كان ذا إرادة قوية سوف يكمل المشوار. فالإرادة تأتي من الجسارة والجرأة العظيمة".
أما القسم الذي أدلت به فكان مضمونه: "سأقاتل حتى آخر نقطة من دمي. وأنا مؤمنة بالنصر على القوى الإمبريالية والاستعمار التركي والرجعية المحلية، وبالتفوق عليهم في سبيل حرية واستقلال كردستان وتحرير الشعب الكردستاني ووحدة وتآخي جميع شعوب العالم. وأقسم بأنني مرتبطة حتى آخر نفس في حياتي بالجبهة والجيش والحزب والقائد والشهداء والثورة ورفاق السلاح".

ملف الشهداء العدد الثاني" شيلان" ايار 2006